((معالم رحمة الرسول))

خصائص رحمة الرسول ﷺ:

1. **أنها ثابتة وشاملة**

لقد جسّدَ رسولُ اللهِ ﷺ صفةَ الرّحمةِ في كلِّ أحوالِه وأطوارِه ومواقفِه، فالنبيُّ ﷺ رحيمٌ قبلَ البعثةِ وبعدَها، قبلَ الفتحِ وبعدَه، رحيمٌ في النّصرِ والهزيمةِ، رحيمٌ في عُسْرِه ويُسْرِه، رحيمٌ في سفرِه وحضرِه. وكانَ أرحمَ النّاسِ بالنّاسِ وأرأفَهم بهم؛ حتّى مع غيرِ المسلمين، فقد أطلقَ أسرى بدرٍ الّذين ليس لهم من يفتديهم، وأطلقَ ابنةَ حاتمٍ الطّائيّ، وأكرمَها، بل إنّ رحمتَه ﷺ تعدّتْ ذلكَ إلى الحيوانِ والنباتِ والجمادِ.

2. **أنها غاية ووسيلة**

دعا النبيُّ ﷺ النّاسَ إلى الرّحمةِ وبالرّحمةِ، فهي الغايةُ والوسيلةُ في آنٍ واحدٍ، وكانت هذه الرّحمةُ من عواملِ نجاحِه، فجعلَ منها وسيلةً لتأليفِ القلوبِ وتلاحمِ المجتمعِ، ووسيلةً لتحريكِ المشاعرِ الميتةِ، فدخلَ النّاسُ في دينِ اللهِ أفواجًا بهذهِ الرّحمةِ الخالصةِ.

3. **أنها متزنة معتدلة**

ومن خصائصِ رحمةِ النبيِّ ﷺ أنها رحمةٌ متزنةٌ؛ فهو ﷺ رحيمٌ دونَ ضعفٍ، متواضعٌ بغيرِ ذلّةٍ. وهي عادلةٌ؛ لا يغدرُ، ولا ينقضُ العهودَ والمواثيقَ؛ لا في سلمٍ ولا في حربٍ، حتى وثّقَ خصومُه بصدقِه وأمانتِه. وهذا هو الحالُ في أخلاقِ سيّدِنا محمّدٍ ﷺ جميعِها، فهي منظومةٌ متناسقةٌ متناغمةٌ، لا تتوسّعُ فيها صفةٌ على حسابِ أخرى، ولا تعملُ إحداها ضدَّ الصّفةِ التي تقابلُها.

صور من رحمة الرسول ﷺ:

أولا: مع أعدائه

- قال ابن [illegible]: «وبين [illegible] الكلام [illegible] يتعطر [illegible] الأسى [illegible]»
- كانت عيشة الرسول ﷺ [illegible] الحياة [illegible] يكاد [illegible] من وسيلة [illegible] وأرواحهم [illegible] عيشة [illegible] الصوف والنخل [illegible] ويقول: «خرج [illegible] ولا [illegible]» [illegible]
- وكان ﷺ يعيشه [illegible] والرحمة والعفو [illegible] من مخالفيه [illegible] فقد جاء [illegible] من علي [illegible] يدعو [illegible] وقال: «ما [illegible] ظهره، فأفاق [illegible] الصحوة [illegible] من الناس».
- ولما أبطأت [illegible] إحدى بناته [illegible] عند وفاة صبي لها، وفقدت به [illegible] وهو يقبض أنفاسه، وعينه [illegible] الرسول ﷺ في حضرته وأشفق عليه، فعاتبت عبادة فقال له سعد: يا رسول الله ما هذا؟ قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء» [illegible]

ثانيا: مع أصحابه وأهله

- قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159].
- وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خُيِّرَ رسولُ اللهِ ﷺ بين أمرين، أحدهما أيسرُ من الآخر، إلا اختارَ أيسرَهما، ما لم يكنْ إثمًا، فإن كان إثمًا، كان أبعدَ الناسِ منه» [رواه مسلم].
- وكان يلاطف الصغار ويشفق عليهم، يقول أنس رضي الله عنه: «أنه كان له أخٌ يكنى أبا عُمَيْر، وكان له نَغَرٌ، فمات فدخل علينا النبيُّ ﷺ فقال: ما فعل النُّغَيْر؟ قالوا: هلك نُغَرُه، فجعل ﷺ يقول وهو يمازحه: أبا عُمَيْر ما فعل النُّغَيْر؟ أبا عُمَيْر ما فعل النُّغَيْر؟» [البخاري].

ثالثا: مع معالمه

- كان النبيُّ ﷺ حريصًا على هداية الخلق وتوجيههم، فكان ﷺ يفرح ويُسرُّ بمن يهتدي، ويأسف ويحزن على من أبى، فخاطبه ﷺ عليهم ورحمةً بهم وبه، عبّر القرآن عن هذا الحزن الشديد في قلب نبيِّه الكريم بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6].
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله: ادعُ على المشركين، قال: «إني لم أُبعث لعانًا، وإنما بُعثتُ رحمةً» [رواه مسلم].
- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «أنهم قالوا: يا رسول الله: أحرقنا، دماً لقبيلة، فادعُ الله عليهم، فقال: اللهم اهدِ قبيلةً» [رواه الترمذي].

هذه رحمته ﷺ بمن خالفوه وأصبوه العداء، يرجو ويدعو لهم لا عليهم، فقد كان يحمل الخير والحب لدنيا بأسرها، ولم تكن قبائله يوماً شغلاً الناس أو هلاكهم.

رابعا: مع الكافرين والأجانب

- لقد تعدت رحمته ﷺ البشر، فكان رؤوفا رحيما بكل الكائنات، حتى الطيور والشجر، والبهائم والحشرات، فقد نهى عن القتل فيها فيه الزوج عرفت أن وهمها يريحها» [رواه مسلم].
- وقد روي عن الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «كنا مع رسول الله في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تعرش فجاء النبي ﷺ فقال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها، ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: من حرق هذه؟ قلنا: نحن قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار» [رواه مسلم].
- حتى الحيوانات عرفت لطفه ورحمته ورأفته، فكانت تشكو إليه من الظلم الذي يقع عليها. «دخل رسول الله ﷺ فدخل حائطا لرجل من الأنصار فإذا بجمل، فلما رأى النبي ﷺ حن وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح سراته وذفراه فسكن، فقال: من رب هذا الجمل، لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه» [رواه مسلم].

آثار صفة الرحمة:

ترفع منزلة العبد عن الله تعالى.
تفتح أبواب الأمل والرجاء للناس.
تنشر الأمان والمحبة بين الناس.
تعمر الأرض وتستديم الحياة